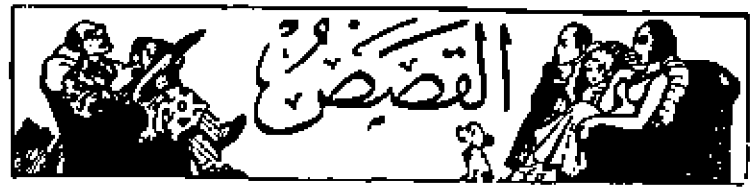

بنت عمي راقصة

للأستاذ عباس خضر

حينما أقبلت على صديقي الأديب المعروف الأستاذ محمد مختار البرجي، وهو جالس في إحدى أمسيات الصيف الماضي على طوار (بار اللواء) — ألفيته متثاقلا يضع مرفقه على المنضدة ويسند رأسه إلى راحته، فأخذت مجلسي على الكرسي المقابل له في الناحية الثانية من المنضدة، مكتفياً بتحية خفيفة دون أن أمد يدي لمصافحته، ورد هو التحية رداً خفيفاً أيضاً، ثم أردف يقول وهو يميل رأسه على يديه المشتبكتين فوق المنضدة:

— سأنعس خمس دقائق.

— فلتكن عشراً.

وأرسلت بصري إلى الشارع وإلى العابرين به، ولكن فكري كان مشغولاً بأمر الصديق، أهو متعب أم مهموم؟ ولم يدع هو هذا التفكير يشغلني طويلاً ويقلق بالي، فقد رفع رأسه وأشعل لفافته، وابتدأ الحديث بيننا تافهاً، وقد تجنبت أن أسأله عما يهمه، ولكنه نظر إلي وقال:

سأقص عليك قصة ... كنت أصطاف منذ سنين في رأس البر، فقام بنفسي في إحدى الليالي أن أجول بمدينة دمياط، وطاب لي الجلوس على قهوة بها. وبينما أنا جالس اقترب مني شاب كان يتأملني من بعد وأنا أتغافل عنه وقال لي:

— حضرتك الأستاذ محمد مختار البرجي ..؟

— أتعرفني؟

— أنت خالي ...

— خالك؟! ومن أنت؟

— أتعرف أن لك عماً اسمه علي مختار؟

— نعم أسمع عنه، لقد توفي أبي وأنا صغير، ونشأت مع أمي في القاهرة، وكانت تذكر لي عمي هذا وعماً آخر وتقول إنهما في دمياط، ولكن من أنت؟ وما مكانك من عمي علي مختار؟ قل لي أولاً كيف عرفتني!

— كيف لا أعرفك وصورك تملأ بيتنا .. نفصلها من الصحف والمجلات ونزين بها الجدران، واسمك يملأ أسماعنا ويبعث النشوة في نفوسنا ... هيا يا خالي ... كم تسر أمي برؤيتك! أمي بنت عمك علي مختار ...

طرق الشاب باب منزلهم، وقد طلب إلي أن أتأخر قليلاً حتى أكون بحيث لا يراني من يفتح الباب، وفتحت له أمه، فبادرها بأنه سيفاجئها الآن بهدية نفيسة هي أعز أمانيها، ثم أردف: ستربن الآن يا أماه ابن عمك الأستاذ محمد مختار البرجي.

وتقدمت، وكان لقاء حاراً أترك وصفه لأنك تدركه من طبيعة الموقف. واستمر الصديق يقول: لا أطيل عليك الكلام. عرفت مما دار بيننا من حديث أن الشاب يحل محل أبيه المتوفى في تجارته الموفقة، وأن عمي علي البرجي توفي منذ زمن غير قليل، وكذلك عمي الثاني وله أولاد يعيشون أيضاً في دمياط، كما عرفت من بنت عمي هذه أن لها شقيقتين متزوجتين.

وتبادلنا الزيارات العائلية، وتوطدت العلاقة، وتم التعارف بين هؤلاء الأقارب الأعزاء وبين أسرتي وأولادي في القاهرة، وساد هذه العلاقة مودة وسرور كان لها أثر كبير في تجديد نفوسنا جميعا. ثم مضت الأيام، وصرنا نشعر بالقرابة، ونغفر لصروف الزمن ما قضت به من التشتت فيما مضى.

واحتسى الأستاذ البرجي قهوته، وجذب أنفاسا من لفافة أشعلها، واستأنف يقول: وجاء إلي مرزوق أفندي، وهو ابن عمي الثاني، وقد اعتاد زيارتي عندما يأتي إلى القاهرة، ولكنه في هذه المرة جاء لأمر ... قال:

— أعد نفسك لما سألقي عليك من نبأ.

— قل ...

— إنه نبأ مؤلم! وأحب أن تكون شجاعاً في تلقيه.

— هاته، أسرع، فقد يكون كلامك أشد منه.

— ما أحسبك لقيت في حياتك أشد مما سأفضي إليك به،

ولا مفر لى من ذلك ، لأن هذا الأمر يهمك كما يهمنا .

— لا تخش على شيئاً فأنا أليف شدائد .

— أتعلم أن لك ابنة عم اسمها سنية وأنها ... راقصة !!

— إيه ...

— ألم تقل إنك حليف شدائد ؟ لا تجزع يا أخى لأنى أريد أن تعاوننى فى ثبات على ما جد فى أمرها . وأجمل لك قصتها فى أن أمها كانت قد تزوجت بعد وفاة أبيها ، وكانت أخواتها الثلاث قد كبرن وتزوجن ، أما سنية فقد ضاق بها زوج أمها ، وضاقت هى بما لقيت من قسوة وخشونة ، فتسللت إلى القاهرة ، ثم احترفت الرقص ، وهى الآن تعمل فى إحدى (الصالات) وكانت قد تزوجت بشاب من أهل الفن توثقت بينها وبينه أسباب المودة فى أثناء عملهما معاً فى (الصالة) وعاشرها سبع سنين ، ثم طلقها أخيراً .

— إيه .

— وقد ذهبت إليها اليوم وأردت أن أنقذها من هذه البيئة فعرضت عليهـا الزواج ، فأبت ، وسخرت منى . وقد اعتزمت أمراً أريد أن تعاوننى عليه ... نقتلها فنغسل عارنا بدمها .

— هون عليك يا أخى ، فالذى بنفسك سيذهب بعد حين ، ولن نقتلها ، وأنا لا أستطيع قتل دجاجة . إذهب إلى حالك ودع الأمور تجرى فى مجاريها .

ولم أرد أن أناقش ابن عمى وهو فى زيارتى ، فتلطفت معه حتى ودعته وانصرف بعد الغداء ، وقد انثنا غضبه ، وعاد أدراجه إلى بلده كأن لم يكن شىء . وكنت حريا أن أسأله عما جد فى شأن ابنة عمنا وهى هى كما يعلم منذ أمد بعيد ، وجعلت أفكر فى الأمر وأنا لا أستطيع أن أتصور كيف نقتل فتاة دفعها التيار إلى هذه الناحية من الحياة ... وهل نقتل الفتاة لأنها راقصة ؟! وكلما تذكرت ما كان يريدنى عليه من المعاونة على قتلها عرتنى رعدة اشمئزاز واستنكار لفكرة القتل البشعة . ويختلط هذا كله بألم يحز فيها حينا أتصور حياة الراقصــات التى أعرفها ، وأن بنت عمى واحدة منهن ... ودار رأسى من التفكير والألم .

وأخذت طريقى إلى نادى الصحفيين . وما أخذت مجلسى هناك حتى جاء الخادم يدعونى إلى التليفون ، فأمسكت السماعة وأصغيت ، فسمعت صوتاً ناعماً يقول :

— أنا قريبة لك .

— أعرفك ... سنية بنت عمى .

— إذن حضر إليك اليوم مرزوق أفندى . ولكن كيف تقول إنى بنت عمك ؟ ألا تنكرنى ؟!

— إنك بنت عمى من غير شك . أريد أن أراك .

— وتريد أيضاً أن ترانى ؟ أجاد أنت فى كلامك ؟

— دعى هذا ، ولنتم الحديث حين تحضرين .

وأقبلت سنية بعد قليل ، ومن المتبع فى النادى أن يكتب الزائر اسمه فى دفتر الزائرين ، فأمسكت أنا القلم وكتبت اسمها هكذا : سنية على البرجى .

وانتبذنا ركناً قصياً بالنادى ، وهى تقول لى :

— إن اسمى سنية على فقط . فلم أرد أن أرث اسم « البرجى » الذى عرفت أنت به .

— ليكن اسمك من الآن سنية على البرجى !

— لا أكاد أصدق ما أرى ، فما كنت أطمع أن أنال اعترافك بى فيما بيننا فضلاً عن مجاهرتك بقرابتى !

قالت ذلك وطأطأت تفتح حقيبة يدها وتخرج منديلاً تمسح به دموعها ، ثم تابعت :

أما مرزوق افندى فسامحه الله .. لقد كان منزلى مثواه كلما جاء إلى القاهرة ، ولم أكن أضن عليه بما يطلب حين تقصر يده ... فما باله اليوم يستشعر العار فى مسلكى ؟!

— قال لى إنه عرض عليك الزواج .

— نعم ورفضت . ومن أجل هذا تعرضت لماسنته ... وأنا ما زلت — ولا أخفى عنك — أحب زوجى السابق ، وقد تعودت لوناً من الحياة معه ، ولم يذهب من نفسى الأمل فى أن يعود إلينا حسن التئام ويرجع الماء إلى مجراه . ثم أنا إن تزوجت مرزوق أفندى فسيكون خيال ماضى منغصاً لحياتنا ، وهناك الأهل الذين لفظونى ثم أنكرونى .. كيف يطيب لى العيش فى وسطهم ؟ ثم نظرت إلىّ نظرة فيها مزيج من الحنان والشكر ، وقالت :

وأنت يا ابن عمى ... كم أنا سعيدة بهذه الكلمة . ابن عمى كلمة بحثت عنها كثيراً فلم أجدها إلا حينما رأيتك تكتب اسمى فى الدفتر سنية على البرجى !

وأجهشت ، فانخرطت فى بكاء ... ثم قالت :

وأنت يا ابن عمى جبرت نفسى ، جبر الله نفسك !

وانصرفت سنية ، وقد وعدتها بالزيارة فى منزلها . وارتاحت نفسى لحسن استقبالى لها واغتباطها بذلك . ولكن كان فى نفسى شىء يدفعنى إلى بحث ما يحيط بها ... نعم لقد مكثت سبع سنين متزوجة ، وقد عرضت عليها فى النادى أن تكون على حريتها فتطلب ما تشاء فى القصف كل شىء ... ولكنها أبت وأكدت أنها لا تشرب الخمر وأنها ليست كما قد أظن ... الخ . ولكنى فى الوقت نفسه أعرف (الصالات) وما فيها من (فتح) وغيره ... لذلك جعلت أرقب أحوالها فى زياراتى لها ؛ فلم أجد ما يريب .

وكنت مرة فى نادى نقابة الممثلين مع صديق الأستاذ أحمد كامل أحد نجوم المسرح والسينما وعضو مجلس إدارة النقابة ؛ وقصصت عليه قصة بنت عمى ؛ وتعمدت أن أذكر اسمها — فى عرض كلام — قبل أن أفضى إليه بقرابتها وقصتها ؛ وهو صاحب مغامرات مع كثيرات من هؤلاء الراقصات ومثيلاتهن . فلما وصلت فى القصة إلى التلويح بشىء من التشكك ، قال لى : حسبك لأن تطمئن أن تعلم أنى لا أعرفها !

وعجبت سنية بعد ذلك إلى نادى نقابة الممثلين ؛ وعرفت أعضاء النادى بها . ثم طلبت أن تشترك فى النقابة ؛ فقال لى الأستاذ أحمد كامل : إننا لا نقبل فى النقابة راقصات (الصالات) ولكن من أجلك سأعمل على قبولها .

وقيد اسم سنية فى نقابة الممثلين .. واقترن ذلك بالاتصال بأحد منتجى الأفلام ؛ وتم الاتفاق على أن تظهر سنية فى فلم جديد ، وهى الآن تعمل به وقد تركت العمل فى (الصالة) .

واغتبطت اغتباطاً كبيراً بهذا التوفيق فى نقل ابنة عمى من بيئة (الصالات) إلى مستوى الممثلين والممثلات ، وأنت تعلم أن هذه الطائفة من أهل الفن قد أصبحت لها اعتبارها ومكانتها فى مجتمعنا الحديث . وقد صرت أنظر إلى سنية نظرة المطمئن الذى لا يجد غضاضة فى الظهور معها فى المجتمعات ، ولا أخفى أنى كنت قبل ذلك أواجه الأمر الواقع ، وكنت أحدث نفسى بأنه يجب على أن أقول للناس : هذه ابنة عمى ! فلا أدعهم يتسارون بذلك ... وكان سرورها بى وتمسكى هذا يعوض فى نفسى بل يفوق كثيراً ما أشعر به من خوف الشهرة ، بل يكاد يمحقه . أما بعد أن صارت ممثلة وعضواً فى نقابة الممثلين فقد طابت نفسى وراق بالى

وسكت الأستاذ البرجى ، وهو ينزع الغلاف الشفاف عن علبة الفائف الجديدة ، ويطويه بيده ويرمى به ، ثم يشعل لفافة ويأخذ منها نفساً ؛ ويسند رأسه المثقل إلى راحته وسحابة الدخان تتراقص أمام سحابة الهم على وجهه .

قلت له : إن ما فعلت شىء عظيم ، وهو يدعو إلى الارتياح ، فما لك مهموماً ؟

فنظرت إلى كمن يطلب الصبر حتى آخر القصة ، وقال :

كنا أمس فى النادى ، أنا وسنية وأحد الوزراء السابقين ، وهو صديق قديم معروف بميله إلى الأدباء والفنانين . جلسنا نحن الثلاثة معاً ، فطاب مجلسنا ، وتبسط معنا صديقنا الوزير السابق فأكثرنا من الطرف والفكاهات ، وأشرقت البسمات على وجوهنا ، حتى جذب ذلك إلينا الأنظار . ثم انفض المجلس ، وتفرقنا فى أرجاء النادى ، وإذا أحدهم يدنو منى قائلا فى شبه همس :

لا تسرف فى الظهور مع بنت عمك فنحن فى مصر ...

ولست أدرى أحاسد هو أم ناصح ، وعلى أى حال قد قال ما قال ...

عباس خضر

وزارة المعارف العمومية

« تقبل عطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكى بمصر عن طريق البريد أو يوضعها باليد فى الصندوق المخصص لذلك بإدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٤٩/٥/١٧ عن إقامة خيام وتأجير كراسى خيزران للامتحانات العامة سنة ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ويمكن الحصول على الشروط وقوائم المناقصة من إدارة التوريدات بشارع صفية زغلول بمصر مقابل مبلغ مائتى مليم خلاف أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما . » ١٧٤٣